المعنى والترجمة

جاسم محمد حسن
قسم الترجمة
كلية الاداب /جامعة الموصل

الدكتور عاصم اسماعيل الياس
قسم الترجمة
كلية الاداب /جامعة الموصل

المقدمة :

لا شك ان ثمة علاقة مهمة تقوم بين المعنى والترجمة وان فهم هذه العلاقة فهماً صحيحاً يسهل عمل المترجم ويجعله أكثر قدرة على التعامل مع مختلف النصوص التي قد يقدم على ترجمتها .

ولكن دراسة من هذا النوع تنطوي على الكثير من الصعوبة المقترنة بطبيعة الموضوع فحقل الدلالة Semantics حقل خصب وابوابه مشرعـــــــة لشتى انواع البحوث والدراسات اذ لم تستطع (هذه الدراسات) حتى الان الاجابة عـن العديد من الاسئلـة المهمـة ومن بينها ما هيـة الدلالة ... وأسرارها .... كما ان الترجمة بدورها لم تزل مجالا للبحوث والدراسـات التي تحاول سبر اغوارها وتشخيص معضلاتها ومصاعبها من أجل وضـــع الحلول الناجعة لها .. ويحاول هذا البحث توضيح أنواع المعاني وربطـــها بعملية الترجمة ضمن خصوصية بعض انواع الدلالة مع تقديم تعريف مختصر لابرز المناهج الدلالية المعروفة .»

المعنى :

لقد تباينت المناهج التي تناولت « الدلالة » منذ مطلع هذا القرن والتي اتجه بعضها اتجاهاً تاريخياً في دراسة الدلالة Diachronic (أي متابعـة متغيرات الدلالة عبر المسار الزمني وتطور دلالة بعض المفردات أو تغيرها)في حين تفضل الغالبية المنهج التزامني Synchronic كما تباينـت النظريات الدلالية في فهمها وتحليلها للدلالة ومنها اصحاب المدرسة الاسميـة Nominalists

التي تعود في أصولها إلى الفيلسوف اليوناني افلاطون الذي اعتبر المعنى اسماً يشار به إلى شيء . وعلى هذا الاساس يكون المعنى علاقة بين الاسم والشيء ولكن اللغات ليست حصراً على الأسماء . فغالبية اللغات الانسانية تحتوي على اقسام الكلام الأخرى كالافعال والصفات والحروف .

وحصر الدلالة في نطاق الأسماء يجعل من مثل هذه النظرية غير مجدية . كما ان اللغة لا تتعامل مع الملموس من الأشياء Concrete فقط بل مع المحسوس التجريدي Abstract أيضاً .

وهناك النظرية الذهنية Mentalism التي تنظر إلى الدلالة على أنها فكرة Concept في العقل البشري . أو صورة ذهنية Mentalism ترتبط بوثاق نفسي Psychological Bond باللفظة Signifier وهو ما ذهب اليه فرديناند دو سوسور de-Saussure,F. في تحليله الدلالة اللغوية Linguistic Sign ومنتقدو هذه النظرية يؤكدون عدم امكانية اختبار صحتها إذ لا مجال لمعرفة ما هية تلك الصور الذهنية أو اخضاعها للتجارب العلمية لصعوبة ملاحظتها observation واختبارها .

وهناك المدرسة السلوكية Behaviourism التي تعود في أصلها إلى علم النفس والتي تبناها العالم اللغوي الأمريكي بلومفيلد Bloomfield وأعقبه أيضاً سكنر Skinner والمعنى من وجهة نظر السلوكيين علاقة بين الحافز Stimulus والاستجابة Response ضمن موقف حياتي معين situation واللغة من وجهة نظر السلوكيين سلوك تتمثل ميكانيكيته في العلائق القائمة بين سلاسل الحوافز والاستجابات . ويوجد من اقترح دراسة الدلالة من خلال العلائق اللغوية فقط Sense Relations أي بعيداً عن السياق العام Context of Situation ومن هؤلاء كاتز Katz وفودور Fodor ودعى اخرون إلى دراسة الدلالة بتحليلها إلى عناصرها الأولية أو مكوناتها الدلالية Semantic Components كأن تحلل دلالة « رجل » إلى : « انسان » « بالغ » ، « ذكر » ودلالة .

إلى : «انسان» ، «بالغ» ، «انثى» ، ودلالة «ولد» إلى «انسان» ، « غير بالغ» ، « ذكر » ودلالة « بنت » إلى « انسان » ، « غير بالغ » « انثى » .

وتعد النظرية السياقية Contextualism أكثر نجاحاً من غيرها لانها تهتم بالسياق العام غير اللغوي Context of Situation مثلما تهتم بالسياق اللغوي Co- text ومن أبرز من تبناها مالنوسكي Malinowsky وفيرث Firth وهاليدي Halliday حيث ان شمولية الدلالة السياقية Contextual Meaning تتضمن جوانب وانماطاً دلالية متعددة يدخل فيها المعنى اللغوي Linguistic Meaning والمعنى البرغماتي Pragmatic Meaning والذي ينتج من طبيعة العلاقة الاجتماعية القائمة بين المتكلم والمخاطب وعناصر السياق الاخرى كالافتراضات السابقة والتلميحات ... الخ .

والمعنى من وجهة نظر فيرث يكمن في العلائق اللغوية Formal (sense)Relations وغير اللغوية Contextual Relations وتتمثل العلاقات اللغوية بالعلاقات الأفقية والتركيبية Syntactic أو Syntagmatic بين مكونات النص اللغوي والعلاقات العمودية Paradigmatic Relations بين عناصر النص ومثيلاتها من خارج النص فمثلاً في جملة : هذا الرجل معلم This man is a teacher المعنى اللغوي لكلمة This يتأتى من العلاقة الأفقية لـ This بعناصر النص التي تليها ومن العلاقة العمودية لـ this بكل من those, these, that

أما « هذا » في العربية فأن علاقاتها الأفقية تكمن في علاقاتها بعناصر النص التي تليها أما علاقاتها اللغوية العمودية فتكمن في علاقاتها بـ : هذه وهذان وهاتان وهؤلاء وذلك وتلك وأولئك وذاتك وتانك وعلى هذا الأساس فان المعنى اللغوي لكلمة this يختلف عن المعنى اللغوي لمعادلها الترجمي في العربية « هذا » ، كما قد يختلف المعنى السياقي ايضاً إذ يمكن ان يترجم this إلى « هذا » إذا كان المعنى السياقي يشير إلى المذكر أما إذا كانت الاشارة إلى المؤنث فتترجم إلى « هذه » .

هذا صديقي This is my friend

هذه صديقتي This is my friend

وهذا يدل على امكانية الترجمة عند تماثل المعنى السياقي وان اختلف المعنى اللغوي لأن من الطبيعي ان تختلف المعاني اللغوية باختلاف اللغات إذ لكل لغة علائقها الأفقية syntagmatic والعمودية Paradigmatic الخاصة بها . (انظر كاتفورد ١٩٦٥) .والتباين بين اللغات من حيث الدلالة ليس حصراً على اللغات المتباعدة بل تشمل اللغات المتقاربة أيضاً ، فكلمة brutal موجودة في الانكليزية والفرنسية ولكن بدلالتين مختلفتين والفعل vertragen موجود في الالمانية والهولندية ولكن بدلالتين مختلفتين أيضاً . واسم الاشارة that موجود في الانكليزية والاسكتلندية ولكن بدلالة سياقية مختلفة فـ that في الانكليزية هي للمفرد البعيد جداً أما في الاسكتلندية فهي للمفرد والجمع وهي ليست للبعيد جداً بل للبعد المتوسط إذ توجد كلمة yon وهي تستخدم للشيء الأكثر بعداً من that .

ويمكن الاستشهاد بمثال الألوان لتوضيح تباين اللغات في الدلالة السياقية لكل لون ، فلو قارنا الانكليزية بلغة نافاهو Navaho لوجدنا أن الدلالة السياقية لكلمة dootliz في نافاهو تتضمن ما يعادل الألوان الانكليزية الثلاثة : الأزرق والأخضر والبنفسجي ، أي ان متكلم لغة نافاهو يصف خضرة العشب وزرقة السماء ولون الزهرة البنفسجية بذات اللون .

ولون القهوة في العربية ليس ابيض حتى وان مزجت بالحليب لكنها تسمى في الانكليزية white coffee (أي قهوة بيضاء) والحمى الصفراء سوداء في الانكليزية black yomit .

وإذا كان تحديد ماهية الدلالة امرا مثيراً للجدل والتفاوت الكبير في الفهم والمنهج فان التعامل مع الدلالة في عملية الترجمة أكثر صعوبة وتعقيداً ، لان المترجم يتعامل مع الدلالة في لغتين مختلفتين ، وعليه ان يقرر اختيار المعادل الترجمي المناسب Translation equivalent في كل حالة يتعامل معها .

وفضلاً عما ذكرنا من نوعي الدلالة وهما الدلالة اللغوية الصرفة Formal Meaning والدلالة السياقية (السياق العام) Cont xtual Meaning فان هناك أنواعاً عديدة أخرى من المعاني : فهناك المعنى الايحائي Connotative Meaning (وهو من المعاني السياقية أيضاً)

Shall I compare thee to a Summer's day
Thou art more lovely and more temporate

من ذا يقارن حسنك بصيف قد يتجلى
وفنون سحرك قد بدت في الناظري اسمى وأغلى

فالمعنى اللغوي للكلمة Summer في الانكليزية لا يختلف عن معنى «صيف» في العربية ولكن المعنى الايحائي يختلف، فالصيف في الانكليزية فصل اعتدال الجو وادفئه وجمال الطبيعة، أما الصيف في العربية فهو فصل الحر الشديد والجفاف ولا يمثل جمال الطبيعة.

وانظراً لأن استخدام الكلمة Summer في قصيدته مشحون بايحاءات جمالية فان مركز الثقل الدلالي هنا هو للمعنى الايحائي وليس للمعنى اللغوي، ومن الأفضل للمترجم هنا ان يبحث عن معنى ايحائي معادل للمعنى الايحائي الأصلي وربما يكون الرابيع هو المعادل الترجمي المناسب في هذا المكان لأنه يقترن بالمعنى الايحائي الوارد في كلمة Summer الانكليزية ولانه فصل الجمال واعتدال الجو في البيئة العربية، وقد يكون المعنى الايحائي مجالوداً على نطاق كاتب معين أو متكلم معين أي اذي سمة فردية ويقترن بالحقيقة السيكولوجية.

وهناك المعنى الثقافي Cultural Meaning (وهو من المعاني السياقية) الخاص بمجتمع لغوي معين والذي يختلف باختلاف اللغات ايضاً، وهو يلتقي مع المعنى الايحائي ولكنه يمثل معنى اجتماعياً واسعاً وليس فردياً. فالاخضر السارة في الانكليزية مثلاً تقترن بالذف (٥) في حين تقترن في العربية بالبرودة (٦) وهذا الاختلاف انعكاس للبيئة الثقافية المتباينة بين اللغتين.

The news warm the cockles of one's heart (٥)

أي (خبر يدفىء الفؤاد) في اللغة الانكليزية أما في العربية فنقول :

(٦) خبر يثلج الصدور .

فالمعنى الثقافي لا يقترن بالحقيقة المادية Physical Reality وانما بالحقيقة الثقافية Cultural Reality إذ ان الدلالة المقترنة بالحقائق المادية هي دلالة اشارية Referential Meaning ولا تختلف اللغات كثيراً في هذا النوع من الدلالة ولا تمثل اشكالاً كبيراً في الترجمة ولكن الأشكال يكمن في الدلالة الثقافية التي قد لا تتماشى مع الدلالة الأشارية لشيء معين اي ان اللغتين الاصل S.L. والهدف T.L. قد تتشابهان في الدلالة الاشارية فكلمتا owl «البوم» تحملان نفس الدلالة الاشارية لطائر يمثل وجوداً مادياً واحداً . أما الدلالة الثقافية في اللغتين لهذا الطائر فمتباينة فهو طائر الحكمة والبهاء في الانكليزية الحديثة وهو رمز للتشاؤم وذو دلالة ايحائية سلبية في اللغة العربية وعلى المترجم أن يأخذ بهذا التشابه الاشاري والتباين الثقافي بين اللغات بنظر الاعتبار وحسب طبيعة النص الذي يترجمه.

وهناك المعنى الاجتماعي (Social Interpersonal Meaning) وهو من المعاني السياقية والذي يكون مركز الثقل الدلالي فيه بعيداً عن المعنى اللغوي ومتركزاً في البعد الاجتماعي او العلاقة الاجتماعية بين المتكلم والمخاطب (بفتح الطاء) او الكاتب والقاريء .

وعلى المترجم ان يختار التعابير اللغوية ذات الطابع الاجتماعي من اللغة المترجم اليها Target Language وبما يتناسب مع تعابير اللغة الاصل Source Language فجملة How do you do الانكليزية التي تستخدم عند التعارف لاول مرة لا يجوز ترجمتها بصيغتها اللغوية الصرفة إلى (كيف حالك؟) بل الى ما يقابلها في اللغة العربية في مثل ذلك الموقف الاجتماعي والترجمة الفضلى لها قد تكون (فرصة سعيدة) او (يشرفنا التعرف عليك)...الخ

وهناك المعنى المبهم Ambiguous Meaning (وهو من المعاني اللغوية) والذي قد يكون ضمن مفردة معينة كما في المثال(٧) اوضمن التركيب النحوي كما في (٨)

٧ — ما اجمل العين

(عين الماء ام عين الانسان ام حرف العين؟)

٨ — باب البيت الكبير

(الباب الكبير ام البيت الكبير)

والذي قد يعين المترجم في حل هذا الإشكال عند الترجمة هو السياق اللغوي او السياق العام .

وهناك المعنى المجازي Figurative Meaning وهو من المعاني اللغوية الادبية ، ذلك الذي يفترض بالمترجم اختيار المعادل الترجمي له ليس على اساس المعنى اللغوي الصرف Formal Meaning بل على اساس جمالية التعبير ونمط التأشير المقترن بذلك التعبير على المتلقى receiver وبما يعادل تأثير اللغة الاصل Source Language على المتلقي فيها :

٩— وماذرفت عيناك الاتضربي

بسهميك في اعشار قلب مقتل

وهناك المعنى الرمزي Symbolic Meaning (وهو من المعاني الادبية والاسلوبية) حيث يستخدم كاتب اومؤلف معين مفردة معينة استخداماً رمزياً اي تكتسب تلك المفردة دلالة رمزية ضمن سياق لغوي اونص معين ، وقد لايكون من السهل ترجمة مثل تلك الدلالة الرمزية التي قد تكون لها دلالة مغايرة في اللغة المترجم اليها ، ويمكن الاستشهاد على هذا بالصعوبة التي واجهها الشاعر الجيكوسلوفاكي جوزيف هورا حين حاول ترجمة ديوان شعري للشاعر الروسي لوريس باسترناك بعنوان (اختي الحياة) الى اللغة الجيكية وذلك لان لفظة «الحياة» في اللغة الروسية مؤنثة وصفة التأنيث هنا ذات اهمية دلالية رمزية ، اما في اللغة الجيكية فان اللفظة التي تقابل الحياة هي Zivot وهي مذكر ولا تحمل نفس الاهمية الدلالية .

وقد تكون المعنى الاسلوبي (وهو) على قدر كبير من الاهمية في النصوص الادبية الشعرية والنثرية والمسرحية (اذ قد يستخدم الاديب اسلوباً معبراً عن معان معينة تعكس وجهة نظره او فلسفته في الحياة ... وعلى المترجم الانتباه الى ذلك عند ترجمة مثل هذه النصوص) الى اللغة الاخرى. ولنلتفت الى مغزى التكرار في مقطع من مسرحية « ماكبث » لشكسبير وهي كلمات على لسان ماكبث في المثال (١٠) ومثال من الشعر العربي لابي النواس في المثال (١١) :

Tomorrow and Tomorrow and Tomorrow
Creeps in this petty pace from day to day

— ١٠ —

(غداً وغداً وغد
تجبو هذه الخطى القصار دبيباً يوماً بعد يوم)

١١ — اقمنا بها يوماً ويوماً وثالثاً
ويوماً له يوم الترحل خامس

وعند ترجمة نصوص قديمة لابد للمترجم من الانتباه الى ظاهرة تغير دلالة بعض المفردات ، فقد تكون دلالة بعض المفردات اللغوية اليوم غير دلالتها قبل قرون من الزمن فكلمة (car) الانكليزية التي تعني الآن «سيارة» كانت تستخدم في الشعر بمعنى العربة التي تجرها الخيول والكلمة العربية الحديثة «قطار» كانت في القديم تعني قافلة جمال وكلمة دابة في الاصل تعني الحيوانات التي تدب على الارض) وكلمة invention في الانكليزية الحديثة تعني الاختراع اما في زمن شكسبير (وكما يستخدمها شكسبير في مسرحية عطيل في الفصل الرابع المشهد الاول) فان معناها كان «الخيال» وكلمة nice في اللغة الانكليزية المعاصرة تعني «لطيف» اما دلالتها القديمة فقد كانت «سخيف» .

وما لم ينتبه المترجم الى مثل هذه الفروق فانه لابد ان يرتكب اخطاء كبيرة عند ترجمته نصوصاً تحتوي على مثل هذه الكلمات .

ولا بد للمترجم من ان يستوعب انواع الدلالات وان يحلل المعنى تحليلاً متكاملاً من الجوانب كافة ، ليتمكن من اداء مهمته بنجاح . ويمكن تقسيم الدلالة الى ثلاثة ابعاد اساسية :

١ ـ البعد اللغوي او الاشاري The Linguistic (or Referential) Semantic Dimension

٢ ـ البعد الاجتماعي المتعلق بالمتكلم والمخاطب (او الكاتب والقارىء) The Social (or Interpersonal) Dimension of Meaning

٣ ـ البعد الثقافي The Cultural Dimension of Meaning

ولنأخذ مثالاً يوضح هذه الأبعاد :

«القطة في المطبخ»

فالمعنى اللغوي والاشاري الصرف لهذه الجملة هو وجود الحيوان المسمى «قطة» في مكان او غرفة هي «المطبخ» .

اما المعنى او البعد الاجتماعي فيختلف باختلاف المتكلم والمخاطب . فحين يكون المتكلم على علم سابق بعائدية القطة لأهل الدار (كتوكيد) تكون الدلالة او البعد الاجتماعي للجملة مختلفاً عما لو كان المتكلم خائفاً من وجود قطة غريبة داخل الدار يطاردها ثم يكتشف وجودها في المطبخ (كتحذير) وكما تختلف عن حالة اخرى يكون طفل في الأسرة قد اخفى القطة في المطبخ فيكتشف مواقعها وجودها في المطبخ وتكون الدلالة في هذه الحالة مختلفة (كاتهام او ادانة) وهكذا .. اما البعد الثقافي او الدلالة الثقافية فهي مختلفة بين اللغات وتتطلب تغييرات جوهرية في اثناء عملية الترجمة . فحين ينتمي المتكلم الى شريحة اجتماعية تعتز بتربية القطط في البيوت يكون للقطة ايحاءات ثقافية ايجابية كحيوان لطيف مؤنس في حين تكون الايحاءات الثقافية للقطة سلبية (كحيوان قذر او مخيف) اذا كان المتكلم ينتمي الى شريحة اجتماعية لاتقبل بتربية الحيوانات الاليفة في بيوتها .

الخلاصة :

١ – الدلالة وماهيتها مسألة شائكة مازالت مجالاً خصباً للبحوث والدراسات وبرغم وجود العديد من النظريات والمدارس اللغوية فاننا لانستطيع القول بوجود نظرية متكاملة او علمية في هذا المجال تجيب على كل التساؤلات وتقدم الحلول للاشكالات ذات العلاقة المباشرة بعملية الترجمة وتتطلب انتباه المترجم الى خصوصية كل نوع من هذه الانواع ، اذ لايجوز التعامل مع هذه الانواع المختلفة بطريقة واحدة .

٢ – هناك عدة انواع من الدلالات تتداخل ضمن النص كالدلالة اللغوية الصرفة Linguistic Meaning (Denotation او الاشارية referential اوالايحائية connotative اوالثقافية cultural او الاجتماعية social (Interpersonal او السياقية Contextual ... الخ وقد تكون واحدة او اكثر من هذه الدلالات هي الاكثر اهمية في نص معين ، وعلى المترجم ان يركز على مركز الثقل الدلالي للنص كأن يكون مركز الثقل دلالة لغوية او دلالة ايحائية ...الخ

٣ – لابد للمترجم من ان يهتم بالابعاد الدلالية المختلفة للنص ليتجنب الغموض والمعاني المبهمة وان يستعين بالسياقات اللغوية وغير اللغوية للتغلب على اي غموض دلالي .

٤ – على المترجم ان يتعامل مع الابعاد الدلالية الثلاثة للنص وهو البعد الاشاري Referential والبعد الاجتماعي Interpersonal والبعد الثقافي Cultural بما يكون الصورة المتكاملة والمتوازنة للمعنى .

٥ – ان اطلاع المترجم واستيعابه لانواع المعاني يجعله اكثر قدرة على اداء مهامه بوصفه مترجماً بدرجة اعلى من الكفاءة والامانة والعكس صحيح

المصادر

Al-Karaein, A.N., Arab and European Traditions in the Study of Semantic Journal of Language Studies, Vol. 1. .1984, University of Sana:

Barber,C., Usages in Meaning, in: *Introductory Readings to Language*, New York 1975.

Berry,M. *Introduction to Systemic Linguistice,* London, 1977.

Catford, J.C. *A Linguistic Theory of Translation,* Oxford, 1965.

de-Saussure, F. *Course in General Linguistics*, New York, 1959.

Khulousi, *Fanal-Tarjama,* Baghdad 1982.

Lyons, J. *Semantics,* Cambridge, 1978.

Newmark, P. *Approaches to Translation,* Oxford, 1982.

Nida, E. *Towards a Science of Translating,* Leiden, 1964.

Palmer, F.R. *Semantics,* 1981.

Robins, R.H. *General Linguistics,* London, 1981.